يتداولون في اسرائيل منذ عدة سنوات في اطلاق سراح البرغوثي كجزء من الآمال لتحريك العملية السياسية مع قيادة فتح

الجيش يُعد نفسه منذ الآن للحرب المتوقعة في الصيف القادم سواء على الجبهة الشمالية ضد حزب الله وسورية أو على الجبهة الجنوبية في قطاع غزة

■ حرب لبنان الثالثة.. الحرب ستندلع في الصيف. الجبهة وحدها هي التي لم تتحدد بعد. الحالة المزاجية في الجيش في الشهر الأخير متشائمة جدا. الجولات الأخيرة في المعارك التي خاضها الجيش على جبهتين في لبنان وقطاع غزة تركت عددا كبيرا من المسائل غير المحسومة، وعددا كبيرا من المتفجرات المحتملة القادرة على إشعال النار من جديد. الاستنتاج الذي يشتقه الجيش من ذلك هو أن الحرب الوشيكة مسألة محتملة جدا. كما أفاد أمير أورن في صحيفة «هآرتس» قبل عدة اسابيع، الافتراض السائد في الجيش يقول بأن الحرب مع حزب الله ستندلع، وربما مع سورية ايضا، في الصيف القريب. في المقابل، الجيش لا يتوقع حياة طويلة لوقف اطلاق النار الأخير مع الفلسطينيين في غزة. وأن التهدئة الحالية سرعان ما ستنضم الى سابقاتها وتنهار.

الجيش يتحدث بصورة أكثر علنية عن التدهور في غزة باعتباره أكثر احتمالا من الحرب المحتملة في الشمال، إلا أنه قلق حقيقة من الحرب على الجبهة الشمالية خصوصا في ظل انجازاته الضعيفة في الجولة السابقة هناك. نائب رئيس هيئة الاركان، موشيه كابلنسكي، توقع اندلاع الحرب في الصيف، وتحدث عن ذلك في عدة منابر عسكرية مغلقة في الآونة الأخيرة. في وحدات مختلفة ومن بينها سلاح الجو والاستخبارات وقيادة المنطقة الشمالية، يستعدون منذ الآن بصورة مكثفة ويأخذون في الحسبان الدروس المستفادة من حرب لبنان الثانية.

الاعلان في هذا الاسبوع عن استئناف تدريب الاحتياط في تساليم هو تلميح للدول المجاورة بأن الجيش يقوم بترميم قدراته واستعداديته، كما أنه يرمي الى تحقيق احتياجات داخلية: المقصود هو اعلام الجمهور والجيش بأن عملية الترميم تتم بصورة جدية، كما هو متوقع.

هل يفضي كل ذلك للحرب فعلا؟ مصدر أمني رفيع يدعي ان الرد على ذلك سلبي. لدينا هنا، يقول، مسألة صورية أكثر من كونها مسألة جوهرية. التقدير المتطرف لاحتمالات نشوب الحرب في الشمال يهدف الى وضع هدف أمام الجيش وتحديد فترة محددة لاستكمال التجهيزات، وذلك من اجل دفع هذا الجيش للملمة أطرافه واستعادة قدراته التي اعتقد مخطئا أنها كانت متوفرة عندما تم شن الحرب بصورة متسرعة في الصيف الأخير.

اعادة بناء جاهزية الجيش تنخرط في جهود رئيس هيئة الاركان، دان حلوتس، لابراز عملية تقصي الحقائق بالنسبة لنتائج الحرب (التي ستنتهي بعد اسبوعين) كمسألة جوهرية وشعار أساسي لعمله. حلوتس، رغم النفي الوارد من ناحيته، يفكر بالاستقالة بجدية، إلا أنه يبحث عن السياق الملائم. استكمال التحقيقات التي يصفها حلوتس بأنها معمقة وصادقة جدا قد يوفر له هذا السياق. رئيس هيئة الاركان يستطيع حينئذ ان يقول أنه يترك لخلفه طاولة نظيفة، وأن الجيش عاد الى السكة الصحيحة بعد عملية بناء وترميم واسعة وشاملة.

الورثة المحتملون لحلوتس يقومون في هذه الاثناء بتسخين المحركات. اذا استقال حلوتس فعلا، فمن الصعب ان نرى كيف يمكن أن يتفق اولمرت وبيرتس حول تعيين خليفة له. تعيين حلوتس رئيسا لهيئة الاركان فُرض على وزير الدفاع شاؤول موفاز من قبل رئيس الوزراء القوي اريئيل شارون.

العلاقات بين ايهود اولمرت وعمير بيرتس، الشريكين الائتلافيين والخصمين السياسيين والشخصيين، مختلفة عما كانت عليه بين موفاز وشارون، وربما ينشأ وضع غريب يكون فيه لبيرتس تأثير حاسم على تعيين رئيس هيئة الاركان القادم. واذا كان القرار بيد بيرتس فعلا، فان احتمالات تعيين مدير عام وزارة الدفاع، اللواء احتياط غابي اشكنازي، عالية. اولمرت، كما يسود الاعتقاد في جهاز الدفاع، سيفضل في كل الاحوال مرشحا من الخارج، ولواء يعود للجهاز. الأسماء التي يجري تداولها، عدا عن اشكنازي، هي خريجان ناجحان من العالم التجاري، وهما الجنرالان احتياط ايلان بيران وشلومو يناي.

في مواجهة خطورة اندلاع الحرب مع سورية، يتحدث رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية «أمان»، اللواء عاموس يادلين، عن ضرورة جس نبض احتمالات استئناف المفاوضات السلمية مع دمشق. يادلين ينضم بذلك الى سلفه في المنصب اللواء اهارون (فركش) زئيفي. واولمرت مثل شارون يرد بحموضة ويتساءل بصوت مرتفع اذا كان رئيس شعبة الاستخبارات لا يخرج في ذلك عن مجال صلاحياته. وما زال على الأقل في الجبهة اللبنانية يفكر بامكانية التجاوب مع حكومة السنيورة في قضية مزارع شبعا. مع أو من دون صلة، بدأ قسم الخرائط في الامم المتحدة مشروع وضع خريطة لمزارع شبعا. الامم المتحدة قد تحسم مصير المنطقة المتنازع عليها، والامم المتحدة تعتمد على الصور الفضائية لحسم هذه القضية، أما حكومة لبنان فليست مشاركة بالمرة في المشروع.

اولمرت تلقى وجهة نظر تقول ان احتمالات موافقة سورية على تسوية تقوم في اطارها اسرائيل بالتنازل عن مزارع شبعا للبنان، ضئيلة. حسب هذا التقدير بشار الأسد ليس متحمسا من هذه الاحتمالية. وعندما طُرحت أمام الأسد اقتراحات لاعادة ترسيم الحدود السورية ـ اللبنانية رد أنه سيوافق على ذلك اذا بدأ الأمر فقط في منطقة طرابلس في الشمال، أي: بعيدا قدر المستطاع عن مزارع شبعا.

جمود فلسطيني

في الساحة الفلسطينية تعود الأطراف في نهاية الاسبوع الى المربع الاول. صحيح ان اطلاق صواريخ القسام قد انخفض في الايام الأخيرة، ولكن حكومة حماس بقيادة اسماعيل هنية ترفض اخلاء مكانها. هنية خرج في جولة في الدول العربية تمتد لاسبوعين. وحتى عودته لا تجري مفاوضات عملية بين فتح وحماس حول حكومة الوحدة. في مطلع الاسبوع، إثر وقف اطلاق النار، تم في الجانب الاسرائيلي ترسيم سيناريوهات معقدة متعددة المراحل لصفقة شاملة تتضمن اطلاق سراح جلعاد شليط وتشكيل حكومة وحدة جديدة. ولكن كالعادة، كانت الساحة الفلسطينية أكثر حرجا مما تعتقد اسرائيل. يبدو أن الامر ليس منتهيا بعد في قضية شليط. كما أن مصير حكومة التكنوقراط التي يتفاوض حولها هنية ومحمود عباس منذ أشهر ما زال غامضا.

في ديوان رئيس السلطة غضبوا في هذا الاسبوع، ولكن ليس على حماس وحدها. عباس عبر عن احباطه في اللقاء الذي أجراه مع هنية في غزة يوم الاثنين. الرئيس قال لرئيس الوزراء انه لن يواصل التفاوض معه حول حكومة الوحدة. اذا كنت تعتقد أنك ستنجح في رفع الحصار عن حكومتك من دون مساعدتي، فلتتفضل. ولكن الاحباط في حاشية عباس موجه بدرجة كبيرة الى المصريين الذين خرجوا عن طورهم في هذا الاسبوع بالثناء على خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحماس في دمشق. هذا بدأ في المؤتمر الصحافي الذي عقده مشعل في نادي الصحافة في القاهرة، واستمر من خلال المقابلة التي أجراها مع التلفزة المصرية، وانتهى بزيارة هنية وحاشيته الى القاهرة، المحطة الاولى في رحلة رئيس الوزراء. أحد أتباع عباس ذكر بخيبة أمل ان وزير المخابرات المصري عمر سليمان بنفسه وعد أبو مازن بأن لا تسمح مصر لهنية بالخروج الى الخارج عبر معبر رفح من اجل جمع الاموال لحكومة حماس.

ثمن رحلة هنية واضح لعباس. في الاسبوع الماضي فقط جلبت حماس الى القطاع بواسطة اثنين من قادتها 25 مليون دولار في الحقائب عبر معبر رفح. هذا مبلغ ضخم في مقاييس الاقتصاد الغزاوي اليوم، وحتى دولار واحد منه لن يصل الى خزينة السلطة. المبلغ كله سيوجه الى جهاز الصدقات التابع لحماس والى ذراعها العسكرية. الآن تعني عودة حاشية هنية من الخارج المزيد من عشرات الملايين لحماس، وفاتحة اخرى من الضائقة المالية المتزايدة.

في حاشية عباس يخشون من ان يؤدي استكمال صفقة شليط في نهاية المطاف الى قيام حماس وحدها بقص الكوبونات. اطلاق سراح مئات السجناء الفلسطينيين من السجن الاسرائيلي سيسجل لحساب قوة ذراع حماس وليس لنهج عباس السلمي، رغم وعود اولمرت باعطاء السجناء لأبو مازن. أعوان عباس قاموا في هذا الاسبوع بمحاولة أخيرة شبه يائسة لحرف المجريات لصالحهم. هم توجهوا سرا الى الفصيلين اللذين ساعدا حماس في اختطاف شليط، لجان المقاومة الشعبية و«جيش الاسلام»، واقترحوا عليهما اعطاء الجندي لأبو مازن. احتمالات نجاح هذه الخطوة معدومة. وكما تبدو الامور اليوم، حماس ستخرج من وقف اطلاق النار قوية، ومكانتها ستتحسن بعد صفقة شليط. الدعم المصري المفاجىء لها سيدفع هنية ومشعل الى التشدد في مفاوضات الوحدة.

فتح قد تقوم رغم كل ذلك بجرف انجاز واحد من استكمال صفقة السجناء اذا كان مروان البرغوثي، كبير السجناء ضمن الصفقة. اطلاق سراح البرغوثي تحديدا، المحكوم بخمسة مؤبدات تراكمية، سيخفف من لذعة انجاز حماس ويعيد رجال فتح الميدانيين الى الوعي الشعبي. في اسرائيل يتداولون منذ عدة سنوات في اطلاق سراح البرغوثي كجزء من الآمال لتحريك العملية السياسية مع قيادة فتح. بعض الجنرالات في هيئة الاركان عبروا هم ايضا عن تأييدهم لهذه الخطوة. في المقابل، ستحظى الفكرة بمعارضة شديدة من رئيس «الشاباك» السابق آفي ديختر وخليفته يوفال ديسكن. في هذا الاسبوع حرص أحد ما في القدس على إعلام المراسلين السياسيين باسهام البرغوثي الايجابي الكبير من داخل سجنه في التوصل الى اتفاق وقف اطلاق النار.

ديختر وديسكن يطرحان ادعاء مقنعا: البرغوثي كان ضالعا في قتل اسرائيليين. المجموعة التي تقود الذراع العسكرية في فتح في الضفة كانت من حوله وعملت بأوامر منه في بداية الانتفاضة. المحكمة اقتنعت من المواد التي جمعها «الشاباك» وشعبة الاستخبارات العسكرية، وأدانته بأعمال القتل. من الناحية الاخرى يبدي البرغوثي منذ سنوات مشاركة نشطة في التوصل الى تهدئة في القتال. إلا أنه كان من الملح في هذه المرة للأطراف السياسية في اسرائيل باعطاء الرصيد لكبير الأسرى. من المحتمل أن يكون من الممكن اعتبار ذلك اعدادا للارض لاطلاق سراحه في صفقة مستقبلية.

في الوقت الذي أطلق فيه اولمرت الآمال بانطلاق عملية سياسية مع الفلسطينيين، تشكك الجهات الأمنية في احتمال بقاء التسوية مع السلطة. حلوتس ألمح بذلك في لجنة الخارجية والأمن عندما قال بأن المستوى السياسي قد تشاور جزئيا مع الجيش حول الاتفاق. الجيش و«الشاباك» متفقان فيما بينهما حول المجريات الحاصلة في القطاع. حماس تقوم في غزة ببناء طبعة جديدة جنوبية لحزب الله ـ لاند. الهدنة ستتيح لها زيادة قوتها من دون ازعاج من خلال الاستمرار في صناعة التهريبات. الهدوء سينهار في الفترة المريحة جدا بالنسبة للخصم وليس لاسرائيل. على المستوى المنظور يتوقع الجيش، في اطار حماية نفسه من الاتهامات بافشال وقف اطلاق النار، وصول تعليمات دقيقة من المستوى السياسي، وهي كالعادة، وكما هو متوقع، لا تصل، الامر الذي يدفع الجيش الى تخمين نوايا السياسيين واشتقاق تعليمات اطلاق النار منها.

الغموض والابهام سيء للجيش لان قادته يضطرون في نهاية كل معضلة الى اتخاذ القرار بشأن فتح اطلاق النار أمام التهديدات المباشرة. في ديوان بيرتس غضبوا في هذا الاسبوع على قيادة المنطقة الجنوبية التي تجاهلت تعليمات الوزير بالتنسيق مع الاجهزة الأمنية الفلسطينية في قضية نشر عناصرها لمنع اطلاق صواريخ القسام في شمالي القطاع. في الجيش استغربوا: منذ متى نتحدث مع الاجهزة الفلسطينية؟ أولم ننتقل الى المقاطعة شبه الكاملة معهم في القطاع بعد اشهر من انتصار حماس في الانتخابات البرلمانية؟.

عاموس هرئيل وآفي يسيسخروف
كاتبان في الصحيفة
(هآرتس) 2006/12/1

الشروط تبدو أكثر واقعية عند الفلسطينيين وبعيدة عند حزب الله ودمشق

اولمرت يُبدي الآن استعداده لدفع الثمن المطلوب في مواجهة الفلسطينيين والسوريين وحزب الله ولكن ضمن شروط

■ «للحظة نسيتم»، قال الضابط الكبير، «ان هذه البقرة التي تذبحونها بسرور كبير هي بقرتكم. أنتم جزء منها في الواقع». ضابط كبير معروف يحظى بالاحترام، عضو في هيئة الاركان العامة للجيش جلس في هذا الاسبوع في ديوانه في معسكر هيئة الاركان في تل ابيب وتحدث بألم وقلبه ينفطر. ينظر الآن في الحملة الجماهيرية الاعلامية التي تُشن على الجيش، ويشعر بالصدمة.

«تأثير الاعلام على النسيج الرقيق الذي يوحد هذا الشعب، هائل جدا. الضرر الذي حدث لا يمكن إزالته. هذا انعدام مسؤولية متطرف، وهذه ليست لعبة كرة قدم بين اسرائيل وحزب الله.

المسألة هنا تتعلق بمعركة وجودية، وعندما يتضرر مستوى الثقة الرقيق جدا بين المواطن والجيش بصورة بطيئة ومنهجية، يصبح ذلك مثارا للقلق. أنا لست ضد الانتقادات، ولكنني ضد التركيز واللغة المستخدمة والعناوين والتضخيم والسخرية والتشكيك. هذا يُفسد القاسم المشترك الذي يجمعنا جميعا. بناء الثقة صعب، ولكن من السهل تدميره».

كان من الصعب سماع هذا الضابط وهو يتكلم بحرقة وألم. أنا لم أتفق معه حول كل ما قاله. هذا الصوت موجود، خصوصا في صفوف الجيش، ولكنه يُسمع في اوساط الجمهور ايضا، ولذلك من الأجدر ان نصغي له. وبالفعل، يمكن القول ان الاعتراضات ضد الانتقادات الموجهة للجيش هي مادة للتفكير.

الانتقادات قوية ولاذعة وهي ضرورية، ولكن من الخسارة أنها قد صدرت بعد الحرب وليس قبلها. لدينا هنا طفل مريض ومياه قذرة. يتوجب إشفاء هذا الطفل وتنظيف المياه، ولكن بحيطة وحذر. يجب ان تكون الانتقادات بناءة لا هدامة، واذا تحولت الى غاية وليس وسيلة، فلن يتبقى أي شيء. في نهاية المطاف هذا الجيش هو جيشنا جميعا، والتحديات التي سيواجهها في الزمن القريب هي تحدياتنا نحن.

«من الآن فصاعدا أنا تحت الرقابة»

في يوم الثلاثاء مساء جاء ايهود اولمرت الى منزل السفير الفنلندي الراقي، كيري فيجالاينن، الموجود في هرتسليا ـ بيتوح. كل سفراء الاتحاد الاوروبي اجتمعوا هناك على شرفه في مأدبة عشاء تحولت الى تقليد. اولمرت يحب مثل هذه المناسبات، ويشعر فيها أنه سمكة ذهبية في الماء. مزاج اولمرت كان مرتفعا. كان هناك سبب جيد لغروره هذا. في يوم الاثنين أصر وعن حق، وألقى خطاب سديه بوكير. وفي نفس المساء حصل على أصداء اعلامية ممتازة في أرجاء العالم، وفي صبيحة اليوم التالي أثنت عليه صحافة البلاد، وكذلك اوروبا. الامور وصلت الى حد ان الـ بي.بي.سي، المحطة المعادية، قامت بقطع بثها لنشر خبر عاجل حول رد فعل الفلسطينيين على «خطاب السلام» الذي ألقاه رئيس الوزراء من خلال أمطار من القسام.

مستشارا رئيس الوزراء، يورام توربوفيتش وشالوم ترجمان، تأخرا عشر دقائق (جاءا من لقاء مع اليوت أبرامز). اولمرت قال للحضور: «الآن أنا لا استطيع أن أتحدث. هذان الشخصان الهامان حقا، وفي العادة هما لا يسمحان لي باخراج كلمة من فمي، ولذلك أنا تحت الرقابة». الجميع ضحكوا. اولمرت ألح الى الخلاف الداخلي في حاشيته عشية القائه لخطاب سديه بوكير.

اغلبية مستشاريه حاولوا حتى اللحظة الأخيرة تعقيم الخطاب وانتزاع اغلبية المقاطع التصالحية جدا منه. بعد ذلك طلب اولمرت من الحضور رفع الأنخاب بمناسبة عيد ميلاد ميري أيزن، مستشارته للاعلام الاجنبي وحبيبة السفراء. كلهم انصاعوا بسرعة. الأجواء كانت جيدة، واولمرت رغم توربوفيتش وترجمان، كان مرتاحا ومنفتحا، كما قال عدة أمور مثيرة للاهتمام.

«لن أتنازل عن شروط الرباعية»، قال اولمرت، «هذا ليس مطلبا متطرفا، أنا مستعد للسير بعيدا، أنتم تعرفون ذلك، ولكن شروط الرباعية هي جوهر الصراع، لم نكن نحن الذين حددناها، أنتم الذين وضعتموها. من دون اعتراف باسرائيل وايقاف الارهاب واعتراف بالاتفاقات فلن يسير أي شيء. جاك شيراك قال لي ان هذه شروط لن يوافق أبدا على التنازل عنها. فمن أكون أنا حتى أقوم بكسر كلمته؟».

اولمرت سُئل عن سبب عدم موافقته على إدخال قوات متعددة الجنسيات الى غزة. لشدة المفاجأة لم يرد بصرامة. «رئيس دولة اوروبية اقترح علي ذلك»، قال، «قلت له: اذا وافقت فلن تغفر لي أبدا، وأنت ستلعن الى الأبد اليوم الذي اقترحت علي فيه ذلك، وستكرهني لانني وافقت. هيا بنا ننظر أولا الى ما يحدث مع القوة الدولية في لبنان، هناك الوضع أبسط بكثير وليس هناك مثل هذا العدد الكبير من الميليشيات كما في فلسطين. أنت لا تعرف من ضد من، ومن ضد ماذا. لذلك ما زال من المبكر اتخاذ القرار. من الواضح ان أي قوة دولية لن تأتي الى غزة من قبل ان تقوم السلطة الفلسطينية بوضع انضباط ذاتي يحول دون قيام كل مارق باطلاق النار متى أراد وكما يريد».

في القضية السورية كان اولمرت مثيرا بدرجة لا تقل عن ذلك. «أجل»، قال، «كنت أريد ان أُجري محادثات سلمية حقيقية مع السوريين، ولكن الواقع لا يسمح بذلك». هو قام بتعداد كل التعليلات المعروفة وأضاف عليها: «اذا توجهنا الى المفاوضات مع السوريين ولم تنضج، فان احتمالات الحرب ستزيد بصورة ملموسة».

كان من الممكن الفهم من ذلك ان المفاوضات لن تنضج بسبب السوريين. «الثمن الذي يتوجب علينا اعطاؤه لهم معروف للجميع، 80 مترا الى هنا أو الى هناك، أما هم فليس واضحا اذا كان بامكانهم اعطاؤه».

ما الذي يمكن فهمه من ذلك؟ ان تكون اسرائيل، ربما، مستعدة لدفع الثمن أما سورية فلا. البرهان لدى اولمرت هو أن سورية غير مستعدة لابعاد خالد مشعل من دمشق لشق الطريق أمام المفاوضات، وهي تقوم بتمرير السلاح لحزب الله في هذه اللحظات تماما. اذا كيف يمكن ان نأمل أن تكون مستعدة لعقد السلام والسماح للسياح الاسرائيليين باغراق دمشق؟.

اولمرت وصل الى خاتمته المثيرة في النهاية عندما سُئل عن المفاوضات مع حزب الله في قضية المخطوفين فقال: «نحن لا ننوي اعطاء حزب الله ما يريده مقابل التوابيت. أنا لا أنوي عقد أي صفقة مع حزب الله، أي صفقة الى ان أرى برهانا بأن الجنود أحياء. أنا آمل أن هذه صدفة فقط بأن حزب الله لا يسمح للصليب الاحمر برؤية الجنود. وعموما لن أدخل في قضية الثمن الآن. يتوجب أن يكون واضحا: لن تكون هناك أي مفاوضات جدية وأي صفقة من دون زيارة للجنود. هذا قرار قاطع».

على طريق صفقة رزمة

مع حماس في المقابل تتبلور صفقة وتنضج بسرعة. وزير المخابرات المصري، عمر سليمان، المحرك الذي يقف من وراء الاتصالات جاء الى البلاد في هذا الاسبوع. سليمان استمتع عند فؤاد بن اليعيزر أكثر من كل الاشخاص الذين قابلهم. كما أن مبارك بالمناسبة، يود فؤاد جدا. ذات مرة، في محادثة مع اسرائيليين، جرى خلالها التداول حول وضع الامريكيين الصعب في العراق قال مبارك ان المشكلة «لن تُحل الى أن يأخذ الامريكيون جنرالا عراقيا ويسمحوا له بالسيطرة على الدولة بالقوة». احد الاسرائيليين قال ان لديه فكرة جيدة تحديدا حول ذلك الضابط العراقي الملائم للمهمة. مبارك سأله من هذا، فرد عليه الاسرائيلي قائلا: فؤاد. مبارك وسليمان أحبا هذه الفكرة.

خلافا للأنباء الصحافية الكثيرة التي نشرت، لم تطالب حماس أبدا بأكثر من ألف أسير. سليمان لم يصل مع قائمة أسماء. حماس شكلت مثل هذه القائمة، ولكن سليمان رفض حملها معه الى القدس من قبل ان يتم الحديث عن العدد وطريقة التنفيذ. وهناك حقيقة اخرى يتوجب معرفتها: خالد مشعل أراد زيارة القاهرة طوال اشهر. المصريون وافقوا على استقباله فقط الآن عندما اقتربت الصفقة من النهاية. وهناك شيء آخر: مشعل يقترح صفقة رزمة مع اسرائيل تشمل وقف اطلاق النار منذ زمن طويل. حتى من قبل اختطاف جلعاد شليط. اسرائيل التي تصر على اسقاط حكومة حماس، رفضت ذلك، وبعد اختطاف شليط قام مشعل باضافته الى الرزمة.

اسرائيل واصلت الرفض من ناحيتها رغم أنه كان من الممكن الحصول على شليط حينئذ بثمن أرخص بكثير. حماس ترفض منذ اسابيع طويلة صفقة «شليط فقط». بالنسبة لحماس يعتبر اطلاق سراح السجناء اليوم مسألة ثانوية، والمهم أكثر اطلاق سراح حكومة حماس والسماح لها بالعمل، أو بكلمات اخرى، الحصول على بعض الشرعية الدولية لحكم حماس عبر الجندي المخطوف.

الانطلاقة تحققت في الاسابيع الأخيرة عندما تبين أن اسرائيل قد تراجعت، وانها مستعدة للتوقف عن الاصرار على «شليط مقابل سجناء فقط»، عندما أدركت حماس أن القدس مستعدة لتوسيع الصفقة الى رزمة شاملة مع وقف اطلاق نار وحكومة وحدة فلسطينية، انطلق القطار من المحطة.

عناصر الصفقة: وقف اطلاق نار، اقامة حكومة وحدة، اطلاق سراح شليط مقابل سجناء، واطلاق سراح اعضاء البرلمان والوزراء كخطوة لبناء الثقة قبل تنفيذ الصفقة نفسها. وقف اطلاق النار انطلق في هذا الاسبوع في طريقه. حكومة الوحدة ستتشكل في الاسابيع القريبة. لذلك يسود التقدير بأن شليط سيتحرر مقابل 500 سجين بمن في ذلك اشخاص مع دماء على اليدين خلال ثلاثة اسابيع، وهذه مسألة معقولة في ظل الاوضاع السائدة اليوم.

هناك ايضا صرعة: اسرائيل اقترحت منذ زمن ارسال وفد تفاوضي الى القاهرة في موازاة وفد فلسطيني. الوفدان يجلسان هناك، وعمر سليمان يقوم بالتنقل فيما بينهما، الامر الذي يُسرع من المفاوضات.

الفلسطينيون لم يوافقوا. يتبين أن حماس تقود المفاوضات حقيقة إلا أن القرار النهائي لن يكون لها وانما للتنظيمات الثلاثة التي نفذت عملية الاختطاف. الصلة مع هذه التنظيمات، أي الخاطفين، معقدة وسرية ولا يمكن أن تتم عبر الهاتف. لذلك عرفت قيادة حماس الموجودة في القاهرة على ضفاف النيل انها لن تستطيع دفع شيء الى الأمام. يجب أن تكون دائما على الأقل، ساق في رفح.

بن كاسبيت
المراسل السياسي للصحيفة
(معاريف) 2006/12/1

بيروت اليوم هل ستصبح «عاصمة العروبة.. المقاومة والوحدة»

الحل الوسط السياسي الكفيل بشل تهديد استعراض القوة لحزب الله يتضمن صيغة معدلة لهيكلية المحكمة الدولية

■ هل ستصبح بيروت اليوم «عاصمة العروبة، المقاومة والوحدة» كما وصفها حسن نصرالله في بيانه أمس، أم سيسقط لبنان الى نظام «الطغيان الديني» كما حذر مروان حمادة، وزير الاعلام والمقرب من رئيس الوزراء فؤاد السنيورة؟ محاولات رئيس البرلمان نبيه بري، ايجاد صيغة سحرية تمنع الخطر ستستمر اليوم ايضا، ولكن يبدو أن نصرالله لن يتخلى عن استعراض القوة الذي يخطط له منذ أسابيع، وارجىء في اعقاب اغتيال الوزير بيار الجميل.

صحيح ان حكومة لبنان تستعد لامكانية تنفيذ المظاهرة الجماهيرية اليوم: اغلاق الجيش للطرق في أطراف بيروت، لمنع انتقال مؤيدي حزب الله من القرى الى داخل المدينة، والجيش يحتل مواقع في بيروت نفسها أيضا لمنع الانتقال الى الميادين الرئيسية. ولكن واضح للطرفين ـ للحكومة ولنصرالله ـ بأن في هذا الواقع المتفجر تكفي مناوشة عنيفة وحيدة لاضرام النار في كل لبنان. ورغم ذلك، فان الطرفين لا يزالان يتحدثان عن مظاهرات هادئة واعتصامات.

الطرفان يتفقان على المبدأ: حكومة الوحدة الوطنية، التي يطالب بها نصرالله غير مرفوضة في نظر السنيورة. فهو مستعد لان يزيد عدد الوزراء من 24 الى 30، وان يمنح فيها حقائب لحركة الجنرال ميشيل عون، المسيحي الذي اصبح شريك نصرالله. ولكن السنيورة غير مستعد لان يتنازل عن قضيتين جوهريتين: فهو يصر على اقامة المحكمة الدولية لمحاكمة قتلة رفيق الحريري وشخصيات لبنانية اخرى، ويرفض منح مجموعة الاقلية الشيعية والمسيحية التابعة لعون ثلث مقاعد الحكومة، تضمن لهم حق الفيتو على قراراتها.

الحل الوسط السياسي الكفيل بشل تهديد استعراض القوة لحزب الله، يتضمن صيغة معدلة لهيكلية المحكمة الدولية، كما بحث وتقرر بين نصرالله وممثلي الامم المتحدة. واضافة الى ذلك فيها اتفاق على اسم الرئيس القادم المرشح للحلول محل اميل لحود. في اليومين الاخيرين اقترحت شخصيات لبنانية صيغا اخرى للحل الوسط، حتى في مسألة قانون الانتخابات الذي يقف في مركز الخلاف بين الطرفين. ولكن عندما يعرب رئيس الدولة لحود علنا عن تأييده للمظاهرات التي يخطط لها حزب الله، ويقضي بأن الحكومة ليست شرعية، سيجد السنيورة صعوبة في تبني هذه الحلول الوسط.

المسألة الان هي من يتراجع أولا، وما هو الخط الاحمر الجديد الذي سيرسمه السنيورة. التقدير هو أنه اذا نجح السنيورة في الاقناع بأن كل تطلع نصرالله هو منع تشكيل المحكمة الدولية، فان بوسعه ان يثبت للجمهور اللبناني بأن الحديث يدور عن مصلحة ضيقة، مؤيدة لسورية، وليس مطلبا لاصلاح جور سياسي. ولهذا الغرض، فانه سيضطر الى التنازل لحزب الله في مسألة التمثيل في الحكومة، وربما ايضا في موضوع الرئاسة. ولكن حتى لو وافق على ذلك رئيس الوزراء، فمن المشكوك فيه أن يتنازل نصرالله في موضوع المحكمة، الذي أصبح الغرض المركزي من حكومة السنيورة.

والسبب في ذلك يعود الى ان نصرالله مقتنع بأن قوته الجماهيرية ـ مع تأييد ميشيل عون ومجموعة السكان التي يمثلها ـ أكبر مما كان في الانتخابات السابقة، ولهذا فهو يتطلع الى اسقاط الحكومة، من أجل التوجه الى الانتخابات. في مثل هذه الانتخابات، اذا ما اجريت قبل تغيير قانون الانتخابات في لبنان، فانها كفيلة بمنح نصرالله نصرا اكبر مما في الانتخابات السابقة. ومن هنا فان التقدير هو أن نصرالله لن يرغب في احداث صراع عنيف في لبنان من شأنه أن يجدد الحرب الاهلية، بل ان يحظى بالنصر بطريقة «ديمقراطية». ولكن التخطيط السياسي لا يمكنه ان يتوقع التطورات في الشارع. فهذه لها ديناميكيتها الخاصة، ولا سيما عندما يكون الطرفان مفعمين بالغضب الكبير الواحد ضد الآخر.

تسفي برئيل
مراسل الصحيفة للشؤون العربية
(هآرتس) 2006/12/1

جانب من المظاهرة للمعارضة اللبنانية في بيروت